البعد الديني في أعمال أبي القاسم سعد الله

The Religious dimension in the works of Abu al-Qassim Saad Allah

ط.د. الزبير بن بردي *

جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي

مخبر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

benbordi-zoubir@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/19 تاريخ القبول 2023/04/14 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

في إطار الاعتراف بجميل أساتذتنا الباحثين والمؤرخين الذين توفّتهم المنيّة، وتركوا لنا سِجلا حافلا من أعمال متنوعة أنارت مكتباتنا العامة والخاصة، وكانت لنا بمثابة مصادر ومراجع أساسية نلجأ إليها ونستعين بها ونوظّفها في دراساتنا وبحوثنا الأكاديمية؛ خاصة في ميدان التاريخ، يأتي مقالي عن الأستاذ والمؤرخ أبي القاسم سعد الله، وإن كانت هناك كتابات عديدة عنه بعد وفاته، إلا أنّني أردت أن أبيّن أحد أهمّ الأبعاد التي تضمّنتها أعماله التي تنوّعت بين: التأليف والترجمة والتحقيق والتعليق، وشملت بدورها مواضيع متفرّقة، مثل: التاريخ، والأدب، والفكر والثقافة، والرحلات، والأعلام؛ ألا وهو البعد الديني. وهذا من باب العرفان والإحسان إليه في كل ما قدّمه للجامعة الجزائرية وللباحثين.

الكلمات المفتاحية: أبو القاسم، سعد الله، البعد، الديني، أعمال، الإسلام، الجزائر.

---

* المؤلف المراسل

Abstract:

In showing gratitude to our scholars and historians who passed away, they left us with a huge record of various works that illuminated our public and private libraries, and served as essential sources and references for our knowledge and use in our studies, also in academic research; Especially in the field of history, my essay on Professor and historian Abu al-Qassim Saad allah comes, although there are many writings about him after his death, but I wanted to illustrate one of the most important dimensions of his work, which varied between: writing, translation, investigation and commentary, and in turn covered such disparate topics as history, literature, thought and culture, travels, and biographies ; This is the religious dimension. This is a matter of gratitude and benevolence in all his presentations to the University of Algeria and to the researchers.

Keywords: Abu al-Qassim, Saad Allah, Dimension, Religious, works, Islam, Algeria.

مقدمة:

يعتبر أبو القاسم سعد الله (1930-2013) من الأعلام والمفكرين والمؤرخين الجزائريين الذين أثْرُوا الكتابة التاريخية والفكرية حول الجزائر خلال العهد الحديث والمعاصر بأعماله العديدة التي تنوّعت بين: التأليف والترجمة والتحقيق والتعليق، والتي شملت بدورها مواضيع متفرّقة، مثل: التاريخ، والأدب، والفكر والثقافة، والرحلات، والأعلام.

وقد عالج سعد الله في أعماله وكتاباته هذه العديدَ من القضايا التاريخية والفكرية والثقافية ذات الصلة بالجزائر. كما أبرز من خلالها جُملة من الأبعاد ذات الأوجه المختلفة. من أبرز هذه القضايا والأبعاد نجد البعد الديني الذي يظهر جليّا في الكثير من أعماله التي كتبها.

وسأتناول في هذا المقال البعد الديني في أعمال أبي القاسم سعد الله، ولن يكون هذا شاملا لكل أعماله لكثرتها وصعوبة الحصول على بعضها، وإنّما سأقتصر فقط على أعماله التي تمكّنت من الاطّلاع عليها.

وانطلاقا مما سبق، سأجيب في هذا المقال عن الإشكالية الرئيسية التالية: فيم يتمثّل البعد الديني في أعمال أبي القاسم سعد الله؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، قسّمت هذا المقال إلى تسعة محاور هي: تعريف موجز بأبي القاسم سعد الله، البعد الديني في العهد العثماني بالجزائر، اقتران الإسلام بالعروبة، إبراز سعد الله لدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، البعد الديني والثورة الجزائرية، الدعوة إلى إنشاء جامعة إسلامية في الجزائر، الاستشهاد بالآيات القرآنية، استخدام مصطلحات وتعابير دينية إسلامية، البعد الديني في مواضيع متفرقة.

أما الأهداف التي يسعى هذا البحث لتحقيقها فأهمّها:

– تسليط الضوء على أحد أبرز الأساتذة الباحثين والمؤرخين الذين أفنوا حياتهم وجهدهم في كتابة ودراسة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

– تِبيان أحد أهم القضايا والأبعاد ذات الصلة بتاريخ الجزائر التي تناولها وأشار إليها أبو القاسم سعد الله في أعماله وكتاباته العديدة، ألا وهو: البعد الديني.

– إضافة بحث يكون مساعدا وموجّها لبقية الدارسين والباحثين لهذه الشخصية البارزة خصوصا، ولتاريخ الجزائر عموما في العهد الحديث والمعاصر.

ولدراسة هذا البحث، اعتمدت على المنهج التاريخي، ومن خلاله اعتمدت على المنهج التحليلي وكذا المنهج الوصفي.

1. تعريف موجز بأبي القاسم سعد الله:

ولد أبو القاسم سعد الله سنة 1930 بمنطقة "البدوع" غرب بلدة قمار[1]. لم يكن والده أحمد سعد الله من أهل العلم، ولكنّه من رجال الإصلاح، أمّا أمّه العبيدية هالي فكانت حريصة على تعلّمه، لأنّها متأثرة بأخيها الشيخ الحفناوي هالي الذي تخرّج من جامع الزيتونة سنة 1936 وأصبح من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2].

حفظ سعد الله القرآن الكريم بالكُتّاب على يد الشيخ بلقاسم بن البرية (زبيري) وعمره لا يتجاوز خمس عشرة سنة. والتحق في خريف سنة 1947 بالزيتونة لمواصلة دراسته[3] بعد أن تأثّر بزوج خالته العلامة الشيخ محمد الطاهر التليلي الذي كان يومها زعيم الحركة الإصلاحية بقمار، فحثّه على الذهاب إلى الزيتونة وودّعه قبل سفره إليها[4].

قضى أبو القاسم سبع سنوات بتونس، حصل خلالها على شهادة الأهلية سنة 1951 وشهادة التحصيل سنة 1954 بعد احتلاله المرتبة الثانية في دفعته[5]. بدأ حياته إعلاميا من تونس في جريدة البصائر التي كانت تصدرها جمعية العلماء. وقد نشرت له عدة قصائد شعرية. كما نشر مجموعة من القصص والخواطر والقصائد الشعرية في جرائد تونسية مثل: النهضة والأسبوع وجرائد جزائرية مثل: البصائر، وفي مجلة الآداب اللبنانية. ثمّ أسهم رفقة زملائه في تأسيس "رابطة القلم الجديد"، وهي جمعية أدبية[6].

كان طموح سعد الله الشاب المتخرج من جامع الزيتونة أن يواصل دراسته بالمشرق، لأنّ جمعية العلماء كانت ترسل بعثات منذ سنة 1953 إلى المشرق، ولكن طلبه قُوبل بالرفض لأنّه ليس من خرّيجي معهد عبد الحميد بن باديس، وما ذنبه؟ وهو الذي سافر إلى الزيتونة في نفس السنة التي فُتح فيها المعهد سنة 1947. غير أنّ ذلك لم يثن من عزمه، فعاد إلى الجزائر العاصمة في 19 نوفمبر 1954، ودرّس سنة كاملة في مدرسة "الثبات" بالعاصمة، ثمّ في ربيع سنة 1955 انتقل للتدريس في مدرسة "التهذيب" بسطيف، وكلتاهما تابعتان لجمعية العلماء[7].

وفي 1955 توّجه إلى تونس ومنها إلى مصر التي وصلها يوم 24 سبتمبر، حيث قصد مقر جمعية العلماء بالقاهرة والتقى بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي. كما انتسب في أكتوبر من نفس السنة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بدار العلوم بجامعة القاهرة، وأخذ عن علمائها أصول العلم وحقائق المعرفة، ومن بينهم: عبد السلام محمد هارون وسامي الدهان. وفي تلك الفترة تابع أخبار النخبة المثقفة في مصر من خلال كثرة

مطالعته وشغفه بالأدب الذي هيمن على عقله وفكره. وكان من بين أشهر الأسماء التي تعرّف عليها: الشاعر صلاح عبد الصبور والأديب عبد الرحمان الشرقاوي والشاعر محمد الفيتوري[8] .

ووجد الشاب أبو القاسم وسط هذا الوضع الثقافي الجديد بمصر ضالته التي كان يبحث عنها؛ فضاعف من كتاباته المبدعة في مجلة "الرسالة الجديدة" المصرية ومجلة "الآداب" اللبنانية وجريدة "البصائر" الجزائرية، واستطاع أن يعرّف بالأدب الجزائري –الذي ظلّ مغمورا إلى حين– بدراساته ومقالاته المستفيضة على صفحات هذه المجلات والجرائد. كما اشترك في تلك الأثناء في العديد من النشاطات الثقافية شعرا ونثرا وإبداعا في القصة والرواية والنقد. وكانت فترة حضوره بدار العلوم فترة خصبة نهل فيها من التكوين العلمي الرصين وأشبع رغبته من المطالعة والأدب. وتمكّن في نهاية المطاف من طبع باكورة إنتاجه الشعري "النّصر للجزائر" في دار الفكر بالقاهرة سنة 1957[9].

وفي جويلية 1959 تحصل سعد الله على شهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية[10]. غير أنّه لم يكمل دراسة الماجستير في مصر، وتوجّه في نوفمبر 1960 إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على منحة دراسية من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وجبهة التحرير الوطني. ومن حينها تحوّل من أديب إلى مؤرخ. مع العلم أنّه لا يوجد تناقض أو تعارض على الإطلاق بين الأدب والتاريخ. فإنّ كثيرا من المؤرخين العالميين قد بدؤوا حياتهم كأدباء قبل أن يكونوا مؤرخين. ومن قسم التاريخ بجامعة "منيسوتا MINNESOTA" تحصّل على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962، ثمّ شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر سنة 1965 تحت إشراف الدكتور "هارولد سي دويتش"، وكان عنوان أطروحته "الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930"[11].

وفي أكتوبر 1967 عاد إلى الجزائر وبدأ مساره الأكاديمي بجامعة الجزائر، حيث أنشأ أول قسم في تخصص الدراسات التاريخية[12]. كما تبوّأ خلال مسيرته عدة مناصب ومسؤوليات في الجامعة الجزائرية، ودرّس في العديد من الجامعات العربية والأجنبية، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، والأردن، والمملكة العربية السعودية، وسوريا، ومصر[13].

أنتج أبو القاسم سعد الله في مجال تخصصه عدة مؤلفات، أبرزها: "تاريخ الجزائر الثقافي" الذي جاء في عشرة أجزاء، و"أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" المؤلفة من خمسة أجزاء، وأطروحته للدكتوراه "الحركة الوطنية الجزائرية" بأجزائها الأربعة. فضلا عن مؤلفاته الأخرى التي زادت على الأربعين، وتوزّعت على: التراجم مثل: "حياة الأمير عبد القادر تأليف هنري تشرشل"، والتحقيق مثل: "تاريخ العدواني تأليف محمد بن عمر العدواني"، والرحلات مثل: "رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين"، وأعلام ودراسات مثل: "رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنّابي"، والإبداع الفكري والأدبي مثل: "منطلقات فكرية ودراسات في الأدب الجزائري الحديث". وستبقى أعماله ودراساته شاهدة على موسوعيته وأصالة أبحاثه وغزارة علمه. فهو الرجل الذي جمع أطراف العلم، واعتكف في محراب التاريخ، ورابط دهرا طويلا في خنادق الأدب[14].

درَس على يد الأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله العديد من الطلبة الذين أصبحوا أسماء لامعة وهامات متألقة في سماء الجامعات الجزائرية، وتسلّموا أمانة المشعل من أيدي المعلم الرائد الذي رحل إلى دار البقاء مطمئنا، ونذكر منهم: ناصر الدين سعيدوني، ومحمد العربي الزبيري، ويحي بوعزيز، ويوسف مناصرية، وأحمد مريوش[15].

واللّافت للانتباه أنّ سعد الله نذر نفسه للبحث الْمُضني وكان ذلك على حساب صحته، وأوغل في هذا حتى اعترت صحته مجموعة من الأسقام، وما كان منه إلا أن تصدّى لها بمواصلة البحث والكتابة. فكان صبورا وقويا ببأسه وعناده إلى أن انطفأت

برحيله إلى دار البقاء شمعة مضيئة من شموع الوطنية والعلم والتاريخ يوم 14 ديسمبر 2013. فرحم الله شيخ المؤرخين وقدوة الباحثين فيما قدّم، ورحمه الله فيما أنجز وعمل.

2. البعد الديني في العهد العثماني بالجزائر:

يوضّح أبو القاسم سعد الله في بعض أعماله، وعلى رأسها كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، أنّ العلوم الدينية في العهد العثماني بالجزائر امتاز أغلبها بالتقليد لا بالتجديد، أي التكرار والحفظ (الرواية)، لا الاجتهاد العقلي (الدراية)، وظاهرة التقليد والحفظ كانت منتشرة في العلوم كلها، وخصوصا العلوم الدينية، ومن بينها علم التفسير، حيث يقول سعد الله: "..**أنّ معظم المفسرين للقرآن الكريم في مجالس الدروس كانوا يكررون في الغالب أقوال المفسرين المتقدمين، وقلّما يخرجون عليها برأي جديد يتلاءم مع العصر**"[16].

ومن العلماء الذين درّسوا التفسير: محمد بن علي أبهلول، وابن للو التلمساني، وعبد القادر الراشدي القسنطيني. ومن العلماء الذين ألّفوا في التفسير: أبو راس الناصر وعنوان كتابه "التيسير إلى علم التفسير".

وفيما يخص علم القراءات يضيف أبو القاسم سعد الله قائلا: "..**فقد اشتهر الجزائريون بتدريس القراءات أكثر ممّا اشتهروا بالتأليف فيها**". ومن العلماء الذين درّسوا القراءات السبع: محمد بن صولة، ومحمد الحاج المناوي، ومحمد بن ناجي، ومن العلماء الذين أسهموا بالتأليف في القراءات نجد: عبد الكريم الفكون، فقد ذكر أنّه ألف عملا سمّاه "سربال الردة في من جعل السبعين لرواة الإقراء عدة"[17].

كما يرى سعد الله أنّ من بين العلوم التي أنتج فيها الجزائريون في تلك الحقبة علم الحديث ومصطلحه. فقد اعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة. ويعود ذلك حسبه إلى صلة علم الحديث بالدين والتصوف معا، وكون علم الحديث يعتمد إلى حدٍّ كبير على الحفظ. وقد كان كتاب صحيح البخاري الكتاب الأكثر تداولا لديهم. ومن العلماء

الذين تولّوا قراءة صحيح البخاري نجد: عبد الرزاق بن حمادوش في الجامع الكبير بالعاصمة.

وقد كان الجزائريون حريصين في أسفارهم وحجّهم على الدراسة وطلب العلم، ولاسيما علم الحديث. كما نشر علماء الجزائر بدورهم هذا العلم عن طريق الإجازة، من أمثال: عبد الكريم الفكون، وابن العنّابي، وعلي بن الأمين، وعيسى الثعالبي، وأحمد البوني[18].

ويمكن القول إنّه برغم عناية الجزائريين بالحديث، وبصحيح البخاري خصوصا، فإنّ تأليفهم فيه لا تقارن بهذه العناية.

ويعدّ الأثبات (الفهارس أو البرامج) أيضا من العلوم الدينية التي شاعت كتابتها خلال الفترة العثمانية بالجزائر، حيث كان العالم يسجل فيها رواياته في الحديث بالسند، والكتب التي قرأها مثل: صحيح البخاري، وغيره من الكتب الستة المشهورة، كما يسجل شيوخه الذين درس عليهم. ويقول سعد الله في هذا الصدد: "**وكانت هذه الأثبات تتداول بين العلماء ولا تعرف حدودا لا في البلد الواحد ولا خارجه، فهي تنتقل مع الحجاج أو ترسل بالبريد أو تحفظ عن ظهر قلب..، وكانت الأثبات ورواية علم الحديث وإجادة السند مما يتفاخر به العلماء ويتباهون به فيما بينهم**".

وحسب سعد الله فهم بذلك يخلقون استمرارية واضحة بين الأجيال في هذا العلم الهام. ومن العلماء الجزائريين الذين تركوا ثبتا أوائل العهد العثماني نجد: محمد شقرون بن أحمد الوهراني[19].

أمّا الفرع الآخر من الفروع الدينية فهي الإجازات التي تعتبر حسب سعد الله شهادة كفاءة أو تأهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها. غير أنّه بتقادم الوقت أصبحت لا تعني كل هذا لتساهل المجيزين في منحها. ومن العلماء الذين انتقدوا التساهل في منح الإجازات نجد: الشيخ عبد الكريم الفكون.

ومن بين الإجازات نذكر: إجازة العالم محمد الزجاي لأحمد بن محمد الشريف المعروف بابن سحنون، حيث لازمه الأخير عدة أيام، فقرأ عليه القرآن الكريم وصحيح البخاري والعقيدة السنوسية الكبرى وألفية بن مالك وغيرها من الكتب[20].

أمّا فيما يتعلّق بالإنتاج الفقهي، فإنّه على الرغم من الجو المحافظ الذي كان يسود الجزائر خلال العهد العثماني، فإنّ بعض الفقهاء كانوا متحرّرين في تناولهم للمسائل الفقهية ولقضايا العصر والحياة الاجتماعية بصفة عامة. ومن هؤلاء المتحررين أذكر: عبد الكريم الفكون، ويحي الشاوي، وأحمد بن عمّار، وابن علي، وابن العنّابي، وعبد القادر الراشدي.

ومن الملاحظ أيضا سيطرة تدريس مختصر الشيخ خليل على مختلف الدراسات الفقهية المالكية في الجزائر، وفي نظر سعد الله فهو يأتي في المقام الثالث بعد القرآن الكريم وصحيح البخاري.

وقد أنجبت الجزائر العديد من الفقهاء تدريسا وتأليفا، من أشهرهم: أحمد الونشريسي، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وعبد الرحمان بن الحاج اليبدري التلمساني، وخليفة بن حسن الأقماري[21].

كما تناول أبو القاسم سعد الله أيضا النّوازل والوقف والفرائض وغيرها من العلوم والفروع التي تمس جوانب الدين الإسلامي المختلفة. حيث يذكر أنّ من بين من ألّف في علم النوازل: محمد المصطفى بن زرفة صاحب كتاب "الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء". ومن بين من ألّف في الوقف: محمد بن محمود العنّابي صاحب مؤلف "رسالة في الوقف". ومن بين من ألّف في علم الفرائض: عبد الرحمان الأخضري صاحب نظم متن "الدرة البيضاء" في خمسمائة بيت[22].

وفيما يخص الوقف، فقد عرّفه سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" الجزء الخامس بقوله: "**نظام إسلامي له أهمّية اجتماعية واقتصادية وعلمية كبيرة في المجتمع..، وكان الوقف هو المصدر الأساسي لنشر التعليم والمحافظة على الدّين**"[23].

كما أشار إلى أنّ أوقاف سُبل الخيرات على سبيل المثال؛ كان لها نفوذ كبير بين السّكان والحكّام معًا، وذلك لأهمّية الأوقاف التي كانت تتولّى تسييرها والمساجد التي تُشرف عليها، ومن أهمّها جامع كتشاوة[24].

بالإضافة إلى ما ذكرت فقد عرّف وترجم أبو القاسم سعد الله لشخصيات دينية جزائرية في العديد من أعماله، أو خصّص لها عملا مفردا، أو قدّم وحقّق لهم بعض أعمالهم، من ذلك نذكر:

- محمد بن محمود بن العنابي في كتابه "رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنّابي المتوفى سنة 1850".
- خليفة بن حسن الأقماري في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، وفي تحقيقه وتعليقه على كتاب محمد الطاهر التليلي "إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري المتوفى سنة 1207هـ/1792م".
- عبد الكريم الفكون في كتابه "شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية"، وفي تقديمه وتحقيقه وتعليقه على أحد كتب الفكون نفسه وهو كتاب "منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العِلم والولاية".
- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري في تقديمه وتحقيقه وتعليقه على أحد كتبه بعنوان "رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبإ عن النّسب والحسب والحال".
- أبا راس الناصري في كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" وكتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" أيضا.

وقد أبرز سعد الله في أعماله أيضا زيارات علماء الجزائر إلى المشرق والدولة العثمانية وكذا زيارات علماء الدولة العثمانية إلى الجزائر، ومن بين النماذج التي ذكرها يحي الشاوي النائلي الذي قصد إسطنبول واتصل بعلمائها وأجازوه في عدة علوم. وفي الجهة المقابلة نجد مصطفى بن حسن خوجة الذي قدم من إسطنبول وتولّى في الجزائر عدة وظائف دينية[25].

يتضح من خلال ما كتبه أبو القاسم سعد الله حول هذا الموضوع، أنّ مساهمة الجزائريين في العلوم الدينية خلال العهد العثماني مساهمة مقبولة إلى حدٍّ ما. ولو عُثر على كل مؤلفاتهم أو جلّها، ودُرست دراسة متخصصة ونقدية لخرجنا من ذلك بتراث علمي ديني غزير.

3. اقتران الإسلام بالعروبة:

ورد في الكثير من أعمال أبي القاسم سعد الله اقتران العروبة بالإسلام، فهو يعتبر العنصرين مرتبطين ببعضهما البعض، وذلك عندما يشير إلى الجزائر أو إلى قضايا إسلامية مصيرية معيّنة.

ويعتبر سعد الله أعماله تدخل في إطار الثقافة العربية الإسلامية، حين يذكر أنّ الجائزة التي مُنحت له باسم "جائزة الإمام ابن باديس" بقسنطينة في أفريل 1991، كانت من أجل مساهمته في حركة التأليف في الثقافة العربية الإسلامية. وقد شكر في الكلمة التي ألقاها بتلك المناسبة الذين اقترحوا اسمه، ولجنة التحكيم، ومركز دراسات المستقبل الإسلامي. كما أردف قائلا: "..**لقد مُنحتُ الجائزة ولست بأحسن المستحقين لها. ففي ساحة الوطن العربي والإسلامي من يستحقون هذه الجائزة عن جدارة**"[26].

وعندما زار وزير خارجية فرنسا الجزائر مطلع التسعينيات، اعتبر أبو القاسم سعد الله تلك الزيارة: "..**إهانة لنا ولبلادنا ولأمتنا العربية الإسلامية**". واعتبر فرنسا عدوّة لأمّتنا لأنّها شاركت في العدوان على العراق العربي المسلم في الحرب الأولى، وحطّمت قدراته

العسكرية والاقتصادية، وأنّ فرنسا ناهضت القضايا العربية الإسلامية كقضيتي فلسطين والعراق[27].

وفي اعتذاره للعراق الذي تُرك وحيدا بدون نُصرة في ميدان القتال أثناء مواجهة القوات المتحالفة، اعتبر ذلك نكسة ما بعدها نكسة، وخروجا عمّا يقتضيه واجب العروبة والإسلام.

كما تعرّض سعد الله للأزمة الليبية–الغربية، فبيّن تقاعس العرب والمسلمين ومن بينهم الجزائريون عن نصرة الشعب الليبي الشقيق الذي دعّم الثورة الجزائرية، وكان لها نِعم المساند المكابد، وهذا بقوله: "..**وإذن فالعيب ليس في أمريكا ولا في الغرب ولا حتى في إسرائيل، فهم يعرفون ما يريدون ويخططون لما يريدون ثم يضربون ضربتهم عندما يريدون.. ولكن العيب فينا نحن العرب والمسلمين. فنحن ما نزال شعوبا جامدة أو مجمّدة..**"[28].

وتأسّف أبو القاسم سعد الله أيضا على حالة المسلمين اليوم، خاصة الذين أبهرتهم الحضارة الغربية، بقوله: "**فراحوا منجذبين إليها انفعالا وليس بالإرادة والفعل، وذلك هو حالنا كعرب ومسلمين في مغارب الأرض وفي مشارقها**".

ثمّ يعود بنا سعد الله إلى التاريخ الإسلامي ليربط العرب بالقرآن الكريم، فيذكر: "..**أنّ ابن رشيق وأمثاله كانت جنسيتهم هي القرآن ولغة القرآن. بهما سافر ابن رشيق حتى إلى صقلية، وبها سافر غيره إلى الأندلس، وبهما انطلق غيره في أرض الله حتى وصل الهند والصين..**". أمّا نحن فقد حجّمنا القرآن حتى جعلناه كتاب عبادة فقط، وقزّمنا العربية بإحياء اللهجات لتنافسها بدل أن تكون رافدا لها[29].

ويذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "**كانت تحمل شعارا أزعج سلطة الاحتلال من ناحية، وأثار مخاوف الجامدين من أبناء الجيل الماضي من ناحية أخرى، هذا**

الشعار هو العروبة والإسلام، والدفاع عن القومية العربية والدّين الإسلامي في سماحته الأولى"[30].

وها هو في إحدى قصائده يُبدي انتماءه وخصوصيته التي هي نفسها خصوصية الجزائريين، فيقول:

وإنّني اليوم نِدٌّ تثور فيه الأماني
قوميتي عربية وشرعتي الإسلام
أردت جمهورية لها اللّواء وسام

وفي قصيدة أخرى يَرِدُ ما يلي عن اقتران العروبة بالإسلام:

ها هنا حيث انتفاضات رهيبة ساحة كبرى وفي السّاح كتيبة
رمزها التوحيد في ظل العروبة فمتى يا شعب تغدو في الكتيبة؟[31]

كما يتحدث سعد الله عن الآثار المترتبة عن اتفاقية كامب ديفيد الموقّعة بين مصر والكيان الصهيوني في 17 سبتمبر 1978، ويتأسف لذلك مُبيّنا أن انسحاب مصر – آنذاك– من الساحة العربية، والوضع الشاذ الذي عاشه الوطن العربي والأمّة الإسلامية بقوله: "**لم يُقَوِّ عندنا روح المسؤولية العربية الإسلامية..، وكانت الحركة الصهيونية العالمية من جهتها تعمل ليل نهار على تمزيق الوطن العربي والإسلامي بخلق مشاكل داخلية في كل قطر..**"[32].

فالبلاد العربية الإسلامية في نظره هي وحدة متراصة مصيرية، تتفاعل فيما بينها سلبا وإيجابا، تصيبها النّجاحات والنّكسات في آن واحد. فإذا أصيبت إحداها بأزمة، تداعت لها بقية البلاد متأثرة بما أصاب أختها من همٍّ وألمٍ، أو من فرج وانتصار، أو كما يقول المفتي والشاعر حسن بولحبال:

أما جاء أن المؤمنين وِدادهم ورحمتهم والعطف جسم مُجسّم
إذا ما اشتكى عضو تداعى جميعه ويسهر باقيه بضُر ويَحْمُم[33]

ويُنهي أبو القاسم سعد الله مقدمة الجزء الرابع من كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" بقوله: "**ومع ذلك نأمل أن نكون في الطريق الصحيح الذي رسمناه لأنفسنا أو رسمه الله لنا منذ وَعَيْنا دورَنا في الحياة، وهو خدمة الجزائر والإسلام والعروبة والمعرفة الإنسانية في أوسع معانيها**"[34]. أمّا في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" الجزء الأول، ففي صفحة الإهداء يذكر أنّه يُهدي هذا الكتاب: "**إلى أطفال الجزائر اليوم الذين سينشرون غدًا كنوز الثقافة العربية الإسلامية لبلادهم ويثرونها بإنتاجهم**"[35].

وعندما تحدّث عن مسألة كتابة التاريخ الوطني عبّر عن أمله في أن تظهر فئة من الباحثين تهتم بكتابة تاريخنا من أجل: "**الكشف عن الذات الجزائرية وتحديد أبعادها وإبراز مساهمتها في الحضارة الإنسانية عامة والحضارة العربية الإسلامية خاصة**". ويتساءل عن ذلك بقوله: "**فمتى يتحقّق هذا الأمل؟**".

ممّا سبق نجد أنّ كلمتي العروبة والإسلام متلازمتان: فالثقافة عربية إسلامية، والحضارة عربية إسلامية، ونحن العرب المسلمون، وحالنا كعرب مسلمين، والتوحيد في ظل العروبة، وخدمة الجزائر والإسلام والعربية...إلخ، كلها عبارات تتكرّر لدى سعد الله لتعني لديه أهمّ المقومات الشخصية للشعب الجزائري.

4. إبرازه لدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لا تكاد تخلو أعمال سعد الله من الإشارة والتأريخ لجمعية العلماء، حيث ظلّ يُعرّف بها ويبرز دورها ويدافع عنها وينشر مبادئها. وقد عرّفها بقوله: "..**استطاعت جمعية العلماء في ظرف قصير نسبيا أن تصبح منظمة جماهيرية، لها أتباع وأنصار في كل جزء من الوطن، ولها شُعَب (جمع شعبة) ومدارس ومساجد حرة ومعلمون في كل قرية ومدينة**"[36].

كما كانت أسباب ظهور الجمعية حسب أبي القاسم سعد الله عندما سُئل عن ذلك في مجلة "العالم" الصادرة في لندن هي ظهور: "..**المؤشرات (التي) تدل على أنّ**

الجزائر العربية المسلمة ستختفي كما اختفت الأندلس إذا لم يتداركها أبناؤها قبل الأوان، ذلك أنّ الفرنسيين اعتبروا أنفسهم أسياد الجزائر، واستقروا على ذلك واستوطنوها وهمّشوا شعبها بالتجهيل وطمس المعالم التاريخية والاستيلاء على المساجد والزوايا والمدارس الإسلامية، وتدجين علماء الدين..، أمّا السبب المباشر فهو شعور المصلحين من العلماء بضرورة مواجهة الخطر الداهم لشخصية الجزائر العربية المسلمة"[37]. أي أنّه يُرجع نشأة الجمعية إلى رغبة العلماء في المحافظة على الجزائر العربية المسلمة، والعودة بها إلى الدّين الإسلامي الأصيل.

ومن الأسباب الأخرى التي يوردها سعد الله في تشكُّل الحركة الإصلاحية في الجزائر ونشأة جمعية العلماء:

- أولا: تأثير الشيخ محمد عبده (حركة الجامعة الإسلامية) ولا سيما فكرته عن الاجتهاد.
- ثانيا: تأثير مجلة "المنار" وكتب المصلحين الدينيين، مثل: ابن تيمية وابن القيّم والشوكاني.
- ثالثا: الثورة التعليمية التي أحدثها عبد الحميد بن باديس بعد عودته من تونس والمشرق.
- رابعا: الوقع النفسي للحرب على الأهالي الجزائريين الذي أدّى إلى تدهور الاعتقادات الخرافية، بالإضافة إلى تدهور المبادئ المقدّسة في أعينهم.
- خامسا: عودة بعض أبناء الجزائر المخلصين المؤمنين من الحجاز مَنْبَتُ الإسلام ومركز النّهضة الإصلاحية بعد أن تعلّموا فكرة الإصلاح الناضجة[38].

وفيما يتعلّق بأهداف الجمعية الدينية، فيورد بعضها أبو القاسم سعد الله بقوله: "**القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة**

والجهل وكل ما يُحرّمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل"[39].

كما كتب سعد الله عن دعوة وأُسس وأصول الجمعية التي تقوم عليها، ومنها: الإسلام هو دين الله ودين البشرية الذي لا تسعد إلا به، والقرآن هو كتاب الإسلام، والسنة القولية والفعلية الصحيحة، تفسير وبيان القرآن، وسلوك السلف الصالح تطبيق صحيح لهدي الإسلام، وفهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة، والبدعة كل ما أُحدث على أنّه عبادة وقربة ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فعله، وأفضل الخلق هو محمد صلى الله عليه وسلم، والتوحيد أساس الدين. ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيّناه من الأحكام بالكتاب والسنّة وهدي السلف الصالح من الأمة[40].

وتحدّث أبو القاسم سعد الله أيضا عن أعمال ونشاطات الجمعية بقوله: "..**أنّ جمعية العلماء اهتمت بالإنسان، فجعلته هو الهدف في كل تحركاتها، وخاطبت عقله بالعلم والإصلاح والوطنية. وخاطبت عاطفته بالدين والخطابة والتاريخ، وأنشأت لذلك جمهرة من الدعاة والخطباء والمؤرخين والمعلمين..، ووفّرت لهم مراكز ووسائل تمثلت في المساجد والمدارس والنوادي والصحف والكتب**"[41].

مع العلم أنّ مجموع المدارس التي كانت تابعة لجمعية العلماء حتى سنة 1954، قد بلغ أكثر من 150 مدرسة، كان يتردّد عليها أكثر من خمسين ألف طفل وطفلة، يدرسون فيها: اللّغة العربية وآدابها، وأصول الدّين الإسلامي، والتّاريخ الجزائري والإسلامي، وفق برنامج يجمع بين ضرورات العلم، وبين إيجابيات التّربية الإسلامية والوطنية الصّحيحة[42].

وفي كتابه "خارج السرب" يقول سعد الله: "..**جمعية العلماء التي كانت تُعلِّم في مدارسها حب الجزائر في الإطار العربي الإسلامي المتميّز عن إطار الثقافة الفرنسية**

على نحو ما عَنَاهُ بيان أول نوفمبر حين تحدّث عن دولة جزائرية في إطار المبادئ الإسلامية"[43].

كما يقول أيضا: "..**جمعية العلماء بَنَتْ جذوعا صلبة تحت جدار الاستعمار، وذلك بالبحث والحفر على تراث الجزائر العربي الإسلامي، وحضارتها الإسلامية.**."[44].

وعن خدمة علماء الجمعية للدّين، يؤكّد سعد الله أنّ علماء الجمعية بذلوا جهودا كبيرة في فتح النوادي والمدارس في مختلف مناطق الوطن، وكذا توظيف المساجد لتعليم الدين وعلومه والأخلاق واللّغة العربية. ويضيف قائلا: **"كما أنشأت الجمعية معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة..، فهو يوصل لشهادة الأهلية ثمّ ينتقل تلاميذه إلى الزيتونة للحصول على شهادة التحصيل أو الثانوية العامة. وكانت الجمعية تخطط لإنشاء كلية في قسنطينة أيضا للطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة والمعاهد الإسلامية الأخرى. كما عادت (جريدة) البصائر للظهور، وهي سيف من سيوف الإسلام وقبس من روحانية الشرق.**."[45].

كما تطرّق أبو القاسم سعد الله إلى نشاط جمعية العلماء في فرنسا، حيث يقول في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي": "..**أرسلت (الجمعية) سنة 1936 وفدا من الشيوخ منهم الفضيل الورتلاني، وسعيد صالحي وعبد الرحمن اليعلاوي، ثمّ الربيع بوشامة وسعيد البيباني. وذكر الإبراهيمي أنّ الثلاثة الأوائل حاولوا الحصول على محل (مكتب) دائم للجمعية في باريس فلم ينجحوا، ولكنهم بذلوا جهودا في فتح نوادٍ تهذيبية، والمقصود بها محلات لتعليم الدين والأخلاق واللغة العربية وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد بما يربط الجالية بوطنها ودينها خوفا عليها من الضياع في الحياة الفرنسية"**[46].

وممّا يلاحظ عن نظرة سعد الله لجمعية العلماء المسلمين، أنّها جمعية دينية تريد من خلال مؤسساتها نشر تعاليم الدين الإسلامي في كافة تراب الوطن.

ومن جهة أخرى يوضّح أبو القاسم سعد الله موقف الجمعية في قضية فصل الدين عن الدولة، بقوله: "..**بسطت الجمعية وجريدتها (يقصد البصائر) القول في قضية فصل الدين عن الدولة، وقدّمت بشأنها مقترحات إلى النّواب بالمجلس الجزائري، وعالجها الإبراهيمي في عدّة مقالات متصلة الحلقات**"[47].

وفيما يتعلّق بدور جمعية العلماء في اندلاع الثورة، فيقول سعد الله في الجزء الرابع من كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ما يلي: "**وإنصافًا للتاريخ أيضًا نقول أنّه لولا أولئك الفتية الذين آمنوا بربّهم ووطنهم، وكوّنوا أنفسهم في الخفاء، واجتمعوا وتجاوبوا وقرّروا الثورة، لكانت الجزائر، بدون جمعية العلماء، كريشة في مهب الريح سنة 1954..، ويبقى أن نعرف مستقبلًا كم من الذين فجّروا ثورة 1954 كانوا من خرّيجي مدارس جمعية العلماء**"[48].

فهو هنا يعطي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تدافع عن الهوية الوطنية المتمثلة خاصة في شعارها: "الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، والإسلام ديننا"، دورا بارزا في اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 باعتبارها كوّنت الجيل الذي قادها وساهم في تحقيق الهدف الرئيس، ألا وهو الاستقلال والحرية واسترجاع السيادة الوطنية.

5. البعد الديني والثورة الجزائرية:

كانت الثورة التحريرية حسب سعد الله مستمدّة من الماضي التاريخي للشعب الجزائري، عربية إسلامية، وبالتالي فهي تربط بين البعد الديني والوطني في آن واحد. حيث يقول: "..**وقد ازداد (أي العامل الديني) ظهورا وقوة أثناء الثورة التحريرية**.."[49].

كما أشار أبو القاسم سعد الله للثورة الجزائرية في إحدى قصائده، ويُقْرِنُها بالفتوحات الإسلامية، وبذلك يجد للحَدَثَيْن، رغم اختلاف الزمان والمكان، قواسم مشتركة، فيقول:

وفي كل حر نما في يديك يغني (لعُقبة) مجد السنين
ويطرب (طارق) في زحفه علـــى الكـــــافريــــن
ويذكر (حسّان) في جنده يوطد للحبل عبر السنين
حضارات عزّ مكين ويرسي على الشم نور اليقين[50]

فسعد الله الشاعر يستعيد ذكريات أبطال التاريخ الإسلامي، ويرى في ملاحمهم رجال الساعة الذين يجدر بالشباب الاقتداء بهم، وأنّ انتصارات الثورة التحريرية هي استمرارية لانتصارات هؤلاء الأبطال.

ورغم أنّ أبا القاسم سعد الله لم يدرس تاريخ الثورة الجزائرية بشكل مفصّل في كتاب محدّد، حسب ما اطّلعت عليه، مثلما درس الحركة الوطنية مثلا؛ إلا أنّه وفي إحدى كتاباته لا يستبعد الروح الدينية الإسلامية لرجالها، بل يجعلها من أُسس وأسباب قيامها. فيقول في الجزء الرابع من كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ما يلي: "..**وإنصافًا للتاريخ أيضًا نقول أنّه لولا أولئك الفتية الذين آمنوا بربّهم ووطنهم، وكوّنوا أنفسهم في الخفاء، واجتمعوا وتجاوبوا وقرّروا الثورة، لكانت الجزائر، بدون جمعية العلماء، كريشة في مهب الريح سنة 1954**."، ويضيف: "**ويبقى أن نعرف مستقبلًا كم من الذين فجّروا ثورة 1954 كانوا من خرّيجي خلايا حزب الشعب وكم منهم كانوا من خرّيجي مدارس جمعية العلماء وكم هؤلاء وأولئك (صدقوا ما عاهدوا الله عليه)**"[51].

وعلى الرغم من أنّ مسطّري بيان أول نوفمبر أعلنوا أنّ أحد أهداف الثورة هو: "الاستقلال الوطني بواسطة إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية"، فإنّ سعد الله لم يقتنع بذلك، وأشار في المقدمة التي افتتح بها الجزء الخامس من كتاب "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، إلى "**أنّ البيان لا يُجيب على بعض النقاط بوضوح كالهوية والإسلام والعروبة**.."، وهو بذلك يريد

تفاصيل أوسع في هذا الموضوع، وليس ذلك سوى غِيرة منه على مقوّمات الشعب الجزائري[52].

ويقول في موضع آخر: "**رغم علمانية الثورة كما ظهرت في تصرفات وتصريحات قادتها، فإنّها أعطت للشؤون الإسلامية اهتماما خاصا. وأهمّ هذه الشؤون هي التاريخ الإسلامي والقضاء الإسلامي والأوقاف الإسلامية**"[53].

6. الدعوة إلى إنشاء جامعة إسلامية في الجزائر:

هناك موضوع ديني آخر شغل بال أبي القاسم سعد الله في أعماله وكتاباته، وهو أمر إنشاء جامعة إسلامية في الجزائر أُسوة بإخوتنا في تونس والمغرب ومصر، حيث توجد جامعات إسلامية راسخة الأقدام مكانا وزمانا، هُنّ: الزيتونة والقرويين والأزهر قد عَلَتْ منابرها العرفانية لنشر العلم بين مختلف أبناء البلاد الإسلامية. وكان الجزائريون من بين أولئك الذين شدّوا الرّحال إلى هذه المراكز لارتشاف العلوم الدينية العليا التي يفتقدون أغلبها في بلادهم، وعلى رأسهم سعد الله نفسه سنة 1947[54].

ويُرجع أبو القاسم سعد الله الأسباب التي تعاني منها الثقافة في الجزائر –فترة ما بعد الاستقلال– إلى عدم توفّر جامعة للدراسات والعلوم الإسلامية. فمنذ قرون كانت الجزائر –خلافا لمعظم البلدان العربية الإسلامية الأخرى– تفتقر إلى جامعة أو ما يشبه الجامعة، وإن كان لديها مساجد كبرى تُلقى فيها الدروس، وبعض المدارس ذات السمعة العلمية، وبعض الزوايا الشهيرة. ولكن القطر الجزائري لا يتوفر على مؤسسة دينية حضارية تُوحّد الخط والاتجاه، وتجمع الفكرة والعقيدة والعلم، وتُخرّج قادة الرأي والدعاة الأكفّاء[55].

كما يتحدّث سعد الله عن ظهور فكرة هذا المشروع قائلا: "**وأثناء النّهضة الوطنية تفطّن العلماء الجزائريون إلى ذلك النقص، فأرادوا تلافيه بإنشاء نواة للدراسات العليا الإسلامية وهو معهد ابن باديس، وأخذوا يحضرون لذلك بالتعاون مع جامع الزيتونة بتونس، وإرسال البعثات إلى المشرق العربي**"[56].

لقد كان أبو القاسم سعد الله يتحّرق شوقا في انتظار إنشاء جامعة إسلامية لاحتواء الراغبين في الدراسات الإسلامية العليا، حيث كتب مقالا في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 15 جويلية 1982، حول الموضوع، وممّا جاء فيه: "..**في اعتقادي أنّه من غير الطبيعي أن تبقى الجزائر التي تعدّ أكثر من عشرين مليونا بدون مؤسسة عليا للدراسات الإسلامية، ذلك أن إنشاء هذه المؤسسة الجامعية أمر ضروري وحتمي. فهو ضروري لأنّ وحدتنا العقائدية، مهما طعّمناها بأفكار أخرى –شرقية وغربية– ستظل قائمة على وحدة العقيدة الإسلامية.."**[57].

كما يواصل حديثه عن هذا الموضوع بقوله: "..**ومن جهة أخرى فإنّه إذا كان العثمانيون لم يشعروا بالفراغ الذي تركه عدم تأسيس جامعة إسلامية في الجزائر لأنّهم كانوا يحكمون العالم العربي الموحد فكريا والمفتوح في وجه جميع العلماء، وإذا كان الفرنسيون قد استراحوا من عدم وجود تلك المؤسسة، فإنّ جيل الثورة والاستقلال يشعر بحتمية هذه المؤسسة، لأنّها ضمان للوجود العقائدي السليم، ويمكن للجزائر أن تطمح أيضا –وهي بلد الطموح– إلى جعل هذه المؤسسة مركز إشعاع حضاري للقارة الإفريقية والعالم العربي والإسلامي، ولماذا لا**"[58].

وفي كتابه "قضايا شائكة" يقول أيضا: "**نعم دعوت وبشّرت بإنشاء الجامعة الإسلامية بالجزائر لتكون حصنا قويا في وجه الغزو والمسخ الذي تتعرض له الثقافة العربية الإسلامية. وأمام غلق جامع الزيتونة الأعظم وضعف دور جامع القرويين في الوقت الحاضر، يجدر بالجزائر التي تتوسط هذا المغرب العربي الشاسع أن تُشيِّد قلعة للثقافة العربية الإسلامية تلعب دور الأزهر الشريف في المشرق، وتكون إشعاعا حضاريا لأفريقيا المسلمة وأبناء الشمال الأفريقي قاطبة، لذلك تجدني سعيدا بإنشاء هذه الجامعة التي أتمنّى أن تكون عتيدة وخالدة**"[59].

ومن خلال ما سبق، يتّضح بأنّ أبا القاسم سعد الله كان يهدف ويطمح من خلال ما كتبه حول الجامعة الإسلامية إلى جعل الجزائر تتمسّك بهويتها العربية الإسلامية الحصينة كسائر الدول الإسلامية، وذلك بمؤسساتها الإسلامية التي تعمل على نشر مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي في كل أرجاء البلاد.

7. الاستشهاد بالآيات القرآنية:

استشهد أبو القاسم سعد الله بكثير من الآيات القرآنية في أعماله ليؤكّد أمرا دينيا وإسلاميا في قضية من القضايا التي يعالجها، كما هي العادة غالبا بطريقة الاقتباس والإسناد. فمثلا بدأ كتابه "شعوب وقوميات" بالآية القرآنية التالية، قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾. سورة الحجرات الآية: 13. وقد عقّب على الآية بقوله: "..**هذه الآية الكريمة توحي بأنّ الله قد خلق الخلق على أنواع وعلى درجات. فمنهم المتحضّر ومنهم البدوي، ومنهم التقي الصالح والفاسق الطالح، ومنهم السيد صاحب السلطان والمسود قعيد الحيطان. والطريق إلى كل ذلك هو التنازع والتدافع، وصراع الخير والشر**"[60].

وعندما يتحدث في المقدمة نفسها عن القوة التي هي وسيلة البقاء وتدافع الشعوب والقبائل، وعن العلم والسياسة وتقدم الحضارات، يستدل بآيتين قرآنيتين هما: قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾. سورة البقرة الآية: 251، وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾. سورة الحج الآية: 40. وينهي مقدمته هذه بآية قرآنية أيضا مثلما بدأها بآية قرآنية، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾. سورة الحجرات الآية: 13[61].

وفي كتابه "هموم حضارية" يستشهد سعد الله بآية قرآنية موجّها كلامه للعراقيين الذين اعتدى عليهم الأمريكيون، وذلك في قوله تعالى: ﴿**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا**

الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. سورة الأنفال الآية: 12. فبعد أن اعتذر لهم عن تقاعس الأخوة عن نصرتهم -كما أشرنا إلى ذلك سابقا- يدعوهم إلى الصمود، ويذكّرهم بأنّ الله مُعينُهم وناصرهم[62].

وفي تحقيقه لكتاب "إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري" لمؤلفه الشيخ محمد الطاهر التليلي، أورد أبو القاسم سعد الله آيتين تمثّل فيهما الشيخين المذكورين في قوله: "**ويبدو أن الشيخين كانا يتمتعان بعلم غزير ولكنهما كانا متواضعين متمثلين بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. سورة طه الآية: 144. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. سورة الإسراء الآية: 85**"[63].

كما تصدّرت جلّ أعمال سعد الله الآية القرآنية قوله تعالى: "**بسم الله الرحمن الرحيم**"، سواء كان ذلك في مستهل المقدمة أو الإهداء أو قبل التعريف بصاحب الكتاب المحقّق أو غير ذلك. وهو هنا ينطلق من سنّة نبوية شريفة، وهو التبرّك بآية البسملة في بداية كل عمل يباشره المسلم.

فأبو القاسم سعد الله خرّيج المدرسة القرآنية طفلا، وجامع الزيتونة شابا، لذا كان يستدلّ ويستشهد ويوظّف العديد من الآيات القرآنية في أعماله، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على مدى تأثره بالحياة الروحية الإسلامية، وتمسّكه بإحدى أهم مكونات الشخصية الجزائرية الأصيلة.

8. استخدام مصطلحات وتعابير دينية إسلامية:

تتخلّل أعمال سعد الله عبارات ذات مدلول ديني إسلامي بين الحين والآخر، مثل: "**وفّق الله الجميع**"، التي جاءت في نهاية مقاله حول الجائزة التي مُنحت له بقسنطينة، ومنها أيضا عبارة: "**لا قدّر الله**"، و"**تلك سنّة الله في خلقه**"، وعبارة: "**رحمه الله**" عند ذكر بعض المتوفّين مثل: والده وابن باديس ومحمد علي دبوز ورضا حوحو[64].

كما أنّه في تحقيقه لكتاب "رسائل في التراث والثقافة"، لمؤلفه الشيخ المهدي البوعبدلي، ختم المقدمة بعبارة: "**نرجو أن نكون بهذه الخطوة قد وفّينا للشيخ المهدي البوعبدلي ببعض فضله على التراث العربي الإسلامي. والله من وراء القصد**"[65].

وفي رسالته التي وجّهها عبر الصحافة إلى كاتب الدولة الأمريكية سنة 1991 يقول له: "**ها أنتم تزورون الجزائر وهي تعيش محنة قاسية لا يعلم إلا الله عاقبتها**"[66].

ومن بين أعمال أبي القاسم سعد الله الإبداعية، نجد قصائد شعرية تتخلّلها عبارات دينية إسلامية، من ذلك مثلا:

والملايين التي مثلي هباء   تمضغ (الضاد) وتدعو (الأولياء)
وتنادي الله دمعا وشهيقا   حسبنا القوت وفي الأخرى الجزاء[67]

فمناداة الله ودعوة الأولياء وذِكر الآخرة حيث الجزاء أو العقاب، تدلّ دلالة واضحة على البعد الديني الإسلامي. وفي القصيدة نفسها التي تحمل عنوان "البعث"، ترد عبارات إسلامية أخرى مشابهة مثل:

بالسياط الدامية   بالنّداءات التي ترجو الإلـه
قوت يوم وجزاء   "وأعدّوا" إنّ يوم البعث جاء[68]

وفي قصيدة أخرى تحمل عنوان "إنسانية" يقول:

يا عبيد الأرض والله الوحيد   يا عبيد الجسد العاري المديد

ثمّ يستطرد بقوله:

منذ سوينا مع الشوك حرير   وعبدنا الطين والله القدير!

وينهي القصيدة بقوله:

ولماذا يخلق الله قلوبا لا ترق![69]

إنّ عبارات: الله وحيد، والله قدير، وخلق الله، كلّها نابعة من عقيدته الإسلامية التي كان لها أثر على الكثير من كتاباته.

وعن القضاء والقدر يرد هذا المقطع حول رثاء جدّه (تونس 1953):

لولا قضاء الله فيك لكان لي   رأي يجادل في القضا فيصيب![70]

وحول القضاء والقدر أيضا وأمور أخرى يقول (القاهرة 1960):

من طبعنا نحن الذين نشتهي   لأنّـنـا مـن طـيـن

لأنّنا لا نملك الشعاع   نتوق للضياء.. نعبده

لكنّنا لا ندركه   لأنّنا تراب

نعيش نهبا للقضاء والقدر[71]

وها هي دلالات دينية إسلامية أخرى تبرز في إحدى قصائده الواردة في ديوانه "الزمن الأخضر":

إنّ السّعادة معنى في نخائله   صوت السماء تهادى في مآذنه

والوحي رفّ رفيقا في طوائله   قدّس إلهك في محرابه أبدا

واركع ركوع الحيارى في غلائله   حيث الربيع يصلّي خاشعا خجلا

للكون، لله، مفراحا بنائله[72]

إنّها دلالات العبادة فالوحي والتقديس والمحراب والركوع والسجود والخشوع كلها مصطلحات دينية وظّفها سعد الله ليعبّر من خلالها عمّا يجيش في نفسه بطريقة صريحة أو بطريقة الرمز والإشارة.

وفي المجموعة القصصية التي أصدرها أبو القاسم سعد الله تحت عنوان: "سعفة خضراء"، ترد أقوال وأحاديث ينطق بها بعض شخوص الحكايات هي من صميم المجتمع الجزائري المسلم، وبتوظيف عبارات تدل على هذا الانتماء، منها مثلا: الحمد لله الذي رزقنا عالِما سيخرجنا من الظلمات إلى النّور.

أو: ولكن أعوذ بالله من أن أحتضن النرجس وبين جنبي قلب يضطرم كالبركان!

أو: لقد نجّاك الله من هذه الشجرة المرّة يا عبد الحميد!

أو: على أنّ أحمد لم يخض هذه الليلة في تلك الأحاديث مع رفيقه.. فاكتفيا بتكرير حزب واحد من القرآن.

أو: وُزّعت كل المناشير والحمد لله لم يفطن البوليس لشيء[73].

كما ورد الدّعاء في بعض أعمال سعد الله مثلما ورد في نهاية مقدمة الطبعة الأولى من كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" الجزء الأول بقوله: "**وإنّي إذ أشكر الله تعالى على إعانته لي على إخراجه، أدعوه أن يجعله كتابًا نافعًا وأن يُعينني على إكمال باقيه**"[74]. والدّعاء نوع من أنواع الذكر، وهو التوجه إلى الله سبحانه بما تشعر به النفس من الافتقار والعجز بدونه، وهو تقرّب من الله أيضا، وقد ورد مدلول ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾. سورة غافر الآية: 60.

9. البعد الديني في مواضيع متفرقة:

يتضح البعد الديني في بعض أعمال أبي القاسم سعد الله في عدّة مواضيع أخرى، منها حديثه عن بعض أحوال النّاس المعيشية، من ذلك مثلا: أنّه نشر مقالا بمناسبة شهر رمضان تحت عنوان: "عطلة رسمية"، أعاب فيه على الصائمين ذلك الكسل الذي يصيبهم في هذا الشهر. وبعد استعراضه لعدة جوانب، خَلُص إلى: "**وإنّ الصيام الحقيقي هو الإيمان والاحتساب مع العمل**"[75]. وهو هنا يقتبس المعنى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدّم من ذنبه**﴾، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ سورة التوبة الآية: 105.

وفي موضوع آخر يخاطب سعد الله الأمريكيين الذين داسوا ديار المسلمين في حرب العراق الأولى، فيقول: "..**ومشيتم بنعالكم على الأرض التي مشى عليها رسولنا الكريم وأضاء منها إسلامنا الحنيف فكان ذلك إهانة لشرف كل المسلمين**"[76].

أمّا فيما يتعلق بفرنسا وعلاقتها بالإسلام والمسلمين، فيذكر أبو القاسم سعد الله أنّها أخذت من الإسلام ولم تعطه، وجنّدت عددا كبيرا من المسلمين للوقوف معها في حربين عالميتين لا ناقة لهم فيها ولا جمل. وقد خصّص لهذا الموضوع مبحثا خاصا في كتابه "هموم حضارية" تحت عنوان: "تاريخ الإسلام في فرنسا"[77] بيّن فيه علاقة هذه الدولة بالإسلام، وقسّمها إلى ثلاث مراحل هي:

أولا: مرحلة الفتوحات.

ثانيا: مرحلة العلاقات العثمانية-الفرنسية.

ثالثا: مرحلة التدافع في العصر الحديث.

وقد عالج سعد الله هذا الموضوع بكل روح علمية في أربع وثلاثين صفحة، وهو أطول مبحث في كتابه هذا، بيّن فيه سياسة فرنسا تجاه المسلمين داخل فرنسا نفسها وخارجها، وبخاصة في العصر الحديث، وانتهى إلى نتيجة مُؤدّاها أنّ: "..**مستقبل الإسلام في فرنسا يتوقف على مدى التفاعل بين المسلمين والفرنسيين ليس في فرنسا فحسب، بل في العالم بأسره**". وذلك بعد أن أوضح اختلاف تعامل فرنسا مع المسلمين بين داخل بلدها وخارجه[78].

وهناك موضوع ديني آخر شغل بال أبي القاسم سعد الله، وهو مسألة الوحدة الإسلامية التي يعتبرها أملا قريبا وليس بعيد المنال. فحسب رأيه أنّ: "..**كل المسلمين يطمحون إلى تحقيق هذا الحلم لأنّ فيه قوّتهم وعزّتهم ومنعة الإسلام وحصانته، والدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية فريضة على كل مسلم من الوجهة الشرعية والسياسية**". إلا أنّه يرى أنّ هذه الوحدة لا بدّ أن تمر بالوحدة الوطنية والمغربية والعربية.

أي أنّه لا يرى وحدة محلية معزولة عن المحيط القومي والعقدي، بل هي جزء من ذلك الكل الذي يجب تحقيقه عاجلا أم آجلا. وأنّ قوتنا تكمن في تلك الوحدة الكبيرة التي جمعتنا قرونا عديدة في سالف الأزمان[79].

وسعد الله في كتابه "أفكار جامحة" يرفض الدعوة إلى المحلية بإحياء ما أسماه، بـ: "**النعرات الجاهلية والقبلية**"، واعتبر ذلك انفصالا وتقوقعا عن مجال أوسع، وأنّ التاريخ علّمنا أنّه كلما توسّع مجالنا الإقليمي، كلما كنّا أقوياء. أمّا عندما انفصلنا، فقد ضعفنا وتمزّقنا إلى دويلات سَهُلَ على أوروبا بعد ذلك غزونا. وعندما جاء العثمانيون، عدنا إلى التحالف مع المشرق، فأصبحنا بفضله أقوياء من جديد. وهو يعتبر الدعوة القبلية والجاهلية طريقا إلى الشيطان لا إلى الله، أمّا الوحدة التي يدعو إليها أبو القاسم سعد الله فإنّها تبدأ: "**..من وحدة الجزائر الجغرافية القائمة على وحدة العقيدة –وهي الإسلام– وعلى وحدة اللسان –وهي اللغة العربية– وعلى وحدة التاريخ المشترك الذي يبدأ مع الفتح الإسلامي.. وعلى وحدة المصير**"[80].

كما يوضّح سعد الله في موضع آخر أنّ التاريخ الإقليمي للجزائر المسلمة لا يقل: "**..نصاعة عن التاريخ الإسلامي في امبراطوريته الواسعة، وهي تجد أصداء بعيدة في المنافحين المكافحين عن الشخصية العربية المسلمة في الجزائر، فلا غرو أن تظل ماثلة لأعينهم، ملازمة لذاكرتهم، ملاصقة لشباة براعهم، حتى يجدّدوا الشعور بهذه الشخصية ويذكوا التحدي بها**"[81].

خاتمة:

وفي ختام هذا المقال الذي تناولت فيه "**البعد الديني في أعمال أبي القاسم سعد الله**"، خرجت بمجموعة من النتائج أهمّها:

- كان البعد الديني بارزا لدى سعد الله في كتاباته على اختلاف مواضيعها ومجالاتها: التاريخية، والأدبية، والفكرية والثقافية، والرحلات، والأعلام.

- يتضح من خلال ما كتبه سعد الله حول البعد الديني في العهد العثماني، أنّ مساهمة الجزائريين في العلوم الدينية خلال هذا العهد العثماني مساهمة مقبولة إلى حدٍّ ما.
- ورد في كثر من أعمال أبي القاسم سعد الله اقتران الإسلام بالعروبة. فهو يعتبر العنصرين مرتبطين ببعضهما البعض، وذلك عندما يشير إلى الجزائر أو إلى قضايا إسلامية مصيرية معيّنة.
- لا تكاد تخلو أعمال سعد الله من الإشارة والتأريخ لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال التعريف بها، والدفاع عنها، وإبراز دورها في المحافظة على الهوية الوطنية، وفي تكوين الجيل الذي قاد الثورة التحريرية.
- كانت الثورة التحريرية حسب أبي القاسم سعد الله مستمدة من الماضي التاريخي للشعب الجزائري، عربية إسلامية، وبالتالي فهي تربط بين البعد الديني والوطني في آن واحد.
- دعا سعد الله إلى إنشاء جامعة إسلامية في الجزائر. وكان يهدف ويطمح من خلال ما كتبه حول الموضوع إلى جعل الجزائر تتمسّك بهويتها العربية الإسلامية الحصينة كسائر الدول الإسلامية، وذلك بمؤسساتها الإسلامية التي تُكوّن العلماء والدّعاة والأئمة، وتعمل على نشر تعاليم الدين الإسلامي في كل أرجاء البلاد.
- تأثّر أبو القاسم سعد الله بعقيدته وببيئته وبالحياة الروحية الإسلامية التي نشأ عليها. حيث يقول: "**وقد كانت البيئة التي خرجت منها بيئة عربية إسلامية محافظة جدا**.."[82]. فانعكس ذلك على أعماله التي استشهد في كثير منها بالآيات القرآنية ليؤكّد أمرا دينيا وإسلاميا في قضية من القضايا التي يعالجها. فهو خرّيج المدرسة القرآنية طفلا، وجامع الزيتونة شابا. كما تخلّلت أعماله عبارات ذات مدلول ديني إسلامي بين الحين والآخر.

– لا يُوفّى حقُّ شيخ المؤرخين في مثل هذا المقال المتواضع، حيث لم أستطع الإلمام بكل ما جادت به قريحته من إشارات وكتابات حملت في طيّاتها بُعدا دينيا، لذا فهو يستحق اهتماما أكبر ودراسات أشمل من طرف الباحثين، تُسلط الضوء على شخصيته ومختلف القضايا والمواضيع التي تناولها في أعماله وكتاباته ومن بينها البعد الديني الإسلامي.

الهوامش:

[1] عاشوري قمعون: **العلامة الموسوعي الشهير الدكتور أبو القاسم سعد الله**، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، 13-14 ديسمبر 2015، الجزائر، ص 10.

[2] علي غنابزية: **أبو القاسم سعد الله الابن البار لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1940–2014)**، الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا، ص 118.

[3] محمد نوار: **مبدع من البدوع، في كتاب رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله بأقلام أحبائه**، إعداد وتنسيق: محمد الأمين بلغيث، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 278.

[4] علي غنابزية: المرجع السابق، ص 118.

[5] الشيخ لكحل ورحيمة بيشي: **جهود أبي القاسم سعد الله في التعريف بتاريخ الصحراء الجزائرية، في كتاب رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين...**، ص 564.

[6] عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ماي 2004، ص 151.

[7] نفسه، ج2، ص 150.

[8] أبو القاسم سعد الله: **منطلقات فكرية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 47-48.

[9] عاشوري قمعون: المصدر السابق، ص 12.

[10] عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المصدر السابق، ص 151.

[11] أبو القاسم سعد الله: المصدر السابق، ص 49-54.

[12] عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: المصدر السابق، ص 151.

[13] مختار سالمي: **أبو القاسم سعد الله "المؤرخ والمحقق والمترجم"**، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، الجزائر، مجلد23، العدد1، 2022، ص ص 162-163.

[14] محمد الأمين بلغيث: **شيخ المؤرخين الجزائريين السيرة والمسيرة 1930–2013، في كتاب رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين...**، ص ص 22-35.

[15] عاشوري قمعون: المصدر السابق، ص 11.

[16] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 12.

[17] نفسه، ج2، ص ص 20-24.

[18] نفسه، ج2، ص ص 25-27.

[19] نفسه، ج2، ص ص 31-33.

[20] نفسه، ج2، ص ص 39-42.

[21] نفسه، ج2، ص ص 65-69.

[22] نفسه، ج2، ص ص 79-86.

[23] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج5، المصدر السابق، ص 152.

[24] حياة رحايلي: **الاستعمار الفرنسي في مواجهة الدين الإسلامي مؤسسة الأوقاف أنموذجا**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد4، العدد1، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، جوان 2020، ص 645.

[25] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص ص 195-208.

[26] أبو القاسم سعد الله: **هموم حضارية**، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص 16.

[27] نفسه، ص ص 128-129.

[28] نفسه، ص ص 146-147.

[29] نفسه، ص 47.

[30] أبو القاسم سعد الله: **دراسات في الأدب الجزائري الحديث**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص ص 118-119.

[31] أبو القاسم سعد الله: **الزمن الأخضر ديوان سعد الله**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص ص 234 و271.

[32] أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص ص 10-11.

[33] عبد الرحمان بن العقون: **مذكراتي**، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص 153.

[34] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 6.

[35] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المصدر السابق، ص 5.

[36] أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، المصدر السابق، ص 48.

[37] أبو القاسم سعد الله: **حوارات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص ص 145-146.

[38] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992، ص 389.

[39] نفسه، ج2، ص 433.

[40] نفسه، ج2، ص ص 434-436.

[41] أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، المصدر السابق، ص ص 48 و49.

[42] التّجاني مياطه ومحمد حناي: **كتلة المحافظين والنّخبة الإصلاحية متانة الأصل وموجبات التّحرر 1881–1954**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد3، العدد1، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، جوان 2019، ص 88.

[43] أبو القاسم سعد الله: **خارج السرب مقالات وتأملات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 11.

[44] مراد وزناجي: **حديث صريح مع الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، منشورات الحبر، الجزائر، 2008، ص 122.

[45] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1954–1962**، ج10، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص ص 21-22.

[46] نفسه، ج10، ص ص 22-23، وعلي زرارقة: **الشيخ الفضيل الورتلاني ودوره الفكري والإصلاحي بالجزائر وفرنسا (1931–1959م)**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد4، العدد2، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، ديسمبر 2020، ص ص 597-598.

[47] نفسه، ج10، ص 22.

[48] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، المصدر السابق، ص ص 147-148.

[49] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 15.

[50] أبو القاسم سعد الله: **الزمن الأخضر ديوان سعد الله**، المصدر السابق، ص 213.

[51] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، المصدر السابق، ص ص 147-148.

[52] أحمد طالب الإبراهيمي: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 8.

[53] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1954–1962**، ج10، المصدر السابق، ص 603.

[54] أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، المصدر السابق، ص ص 157-161.

[55] نفسه، ص 157.

[56] نفسه، ص 158.

[57] نفسه، ص 160.

[58] نفسه، ص ص 160-161.

[59] أبو القاسم سعد الله: **قضايا شائكة أحاديث في شؤون الفكر والأدب والتاريخ**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 82.

[60] أبو القاسم سعد الله: **شعوب وقوميات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 7.

[61] نفسه، ص ص 7-10.

[62] أبو القاسم سعد الله: **هموم حضارية**، المصدر السابق، ص ص 95-99.

[63] خليفة بن حسن الأقماري: **إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري المتوفى سنة 1207هـ/1792م**، تحقيق وتعليق: أبي القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2005، ص 15.

[64] أبو القاسم سعد الله: **هموم حضارية**، المصدر السابق، ص ص 22 و45 و54 و66.

[65] المهدي البوعبدلي: **رسائل في التراث والثقافة مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي (1907–1992م)**، دراسة وتعليق: أبي القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2005، ص 13.

[66] أبو القاسم سعد الله: **هموم حضارية**، المصدر السابق، ص 133.

[67] أبو القاسم سعد الله: **الزمن الأخضر ديوان سعد الله**، المصدر السابق، ص 235.

[68] نفسه، 237.

[69] نفسه، ص ص 225-226.

[70] نفسه، 42.

[71] نفسه، ص ص 355-356.

[72] نفسه، 78.

[73] أبو القاسم سعد الله: **سعفة خضراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 37-40-50-56-75.

[74] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، المصدر السابق، ص 27.

[75] أبو القاسم سعد الله: **هموم حضارية**، المصدر السابق، ص 76.

[76] نفسه، ص 134.

[77] نفسه، ص ص 174-208.

[78] نفسه، ص 206.

[79] أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، المصدر السابق، ص ص 20-21.

[80] نفسه، ص ص 17-18.

[81] صالح بن صالح خرفي: **الشعر الجزائري الحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984، ص ص 123-124.

[82] أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، المصدر السابق، ص 182.